

سُورَةُ الرَّعْدِ



النَّزْوَلُ: مدنية.

المَقَاصِدُ:

- ١ - بيان عظمة الله تعالى في مخلوقاته .
- ٢ - بيان عظمة القرآن الكريم وإعجازه .
- ٣ - إبراز الآيات الباهرة والأدلة الكونية على التوحيد والبعث .
- ٤ - تقرير الإيمان بالقدر .



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْأَمْرُ تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾١
 اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوُهُمْ ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَحَرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلُّ يَحْرِي
 لِأَجْلِ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ يَلْقَاءُونِ رَبِّكُمْ تُوقَنُونَ ﴾٢ وَهُوَ الَّذِي مَدَ الْأَرْضَ
 وَجَعَلَ فِيهَا رَوَسِيَّا وَأَنْهَرًا وَمِنْ كُلِّ الْثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُعْشِي أَلْيَلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ
 لَذَيْنِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾٣ وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَوِّرٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَبٍ وَرَزْعٍ وَنَخِيلٌ
 صِنْوَانٌ وَعَيْرٌ صِنْوَانٌ يُسْتَهْنَ بِمَاءٍ وَجِدٍ وَنَفْضِيلٍ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ
 لَذَيْنِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾٤ وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبْ فَوْهُمْ أَءَذَا كَانُوا تَرْبِيَاءً نَأْنَاهُ لِفِي خَلْقِ جَدِيدٍ
 أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْلُلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَبُ النَّارِ هُمْ فِيهَا
 حَلِيلُونَ ﴾٥

التفسير:

١ - ﴿الْأَمْرُ﴾ تَقَدَّمَ في مطلع سورة البقرة الكلامُ على الحروف المقطعة، وأنَّ من الحكمة في إيرادها بيانَ إعجاز القرآن الحكيم.

هذه الآيات العالية المنزلة من آيات القرآن العظيم، وهذا القرآن الحكيم الذي أنزل إليك - أيها الرسول - من ربك بالحق الذي لا شكَّ فيه، فأخباره حقٌّ، وأحكامه حقٌّ، ولكنَّ أكثر الناس لا يُصدِّقون به.

٢ - الله سبحانه هو الذي رفع السموات بطبقاتها السبع قائمات من غير أعمدة تستند إليها ، ثم بعد خلقها ورفعها استوى على العرش العظيم ، الذي

هو أعلى المخلوقات - استواءً يليق بجلاله، ويناسب كماله - وذلّل الشمس والقمر لمنافع العباد ومصالحهم، وهما يدوران في فلك منتظم متناسق مع بقية الكواكب السيارة إلى وقت فناء الدنيا، يُدَبِّر سُبْحانه أمور الدنيا والأخرة بغاية الحكمة، ويُبَيِّن الآيات الناطقة بعظيم قدرته، وكريم أداته؛ لكي تُوقِّنوا بالمعاد إليه والحساب على أعمالكم.

٣ - وهو سُبْحانه الذي بَسَطَ الأرض بامتداد طولها وعرضها، وهياًها للحياة فيها، إذ جعل فيها الجبال الثابتة، والأنهار العذبة، وأنبت فيها من الأنهر والأمطار والعيون والآبار من كل الثمرات زوجين: ذكراً وأنثى، وجعل الليل يغطي النهار بظلمته. إنَّ في ذلك البيان والإنعم لدلالاتٍ ثابتة لا تنفكُ عن البشر؛ لكي يتفكّروا فيها، ويعلموا عظمة قدرة الخالق.

٤ - ومن عجيب صنعه وكريم عطائه، أَنَّه جعل في الأرض قطعاً متجاورة متلاصقة، لكنها مختلفة بنباتها ومياهها وثمارتها وحدائقها الغنية بأنواع الأعناب، وصنوف الزروع، وبضروب النخيل، منها ما ينبت منه من أصل واحد شجرة واحدة شجرتان فأكثر كالفسائل، ومنها ما ينبت منه من أصل واحد شجرة واحدة فقط. وكلُّ هذه الثمرات والنباتات بطعومها المتنوعة وألوانها المتباينة تُسقى بماء واحد، وببعضها أفضل من بعض في الجودة والطعم والفائدة. إنَّ في ذلك الأمر العظيم من الرب الكريم لدلالاتٍ صريحة، وبراهين صحيحة، لقوم يعقلون اتباع الحق.

٥ - وإن تعجب - أيها الرسول - من تكذيب الكفار لك فاعجب من تكذيبهم بالبعث، وقولهم: إِذَا مِتْنَا وَصِرْنَا تَرَاباً فِي الْأَرْضِ، أَئْبَعَثُ مِنْ جَدِيدٍ؟! أولئك البداء عن الحق هم الذين كَذَّبوا بقدرة ربِّهم، وأولئك البداء عن رحمة الله تكون السلاسل في رقابهم يوم القيمة، وأولئك وقود النار الملزمون لها، هم فيها ماكثون أبداً.

الفوائد والاستنباطات:

- ١ - تقرير نبوة سيد المرسلين محمد ﷺ ورسالته.
- ٢ - من أعظم الآيات: رفع السموات بغير عمادٍ يراها الإنسان الجاهل والعالم.

٣ - تقرير توحيد الربوبية بذكراً تدبير الله تعالى.

٤ - قال ابن عاشور: «الإتيان بـ﴿رَبِّكَ﴾ دون اسم الجلاله للتلطف والاستدراك بقوله: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ راجع إلى ما أفاده القصر من إبطال مساواة غيره له في الحقيقة إبطالاً يقتضي ارتفاع النزاع في أحقيته، أي: ولكن أكثر الناس لا يؤمنون بما دلت الأدلة على الإيمان به». (التحرير والتنوير: ١٣٦/١٢).

٥ - الافتتاح باسم الجلاله دون الضمير الذي يعود إلى ﴿رَبِّكَ﴾ لأنَّه مُعيَّن به، لا يشتبه غيره من آلهتهم؛ ليكون الخبر المقصود جارياً على معين لا يحتمل غيره إيلاغاً في قطع شائبة الإشكال.

٦ - ينظر: مخطط جريان الشمس والقمر والكواكب في الملحق.

٧ - صيغ ﴿يُدِرُّ﴾ و﴿يُصْلِّ﴾ بالمضارع عكس قوله: ﴿الَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ﴾ لأنَّ التدبير والتفصيل متعدد متكرر بتجدد تعلق القدرة بالمقدورات، وأماماً رفع السموات وتسخير الشمس والقمر فقد تمَّ، واستقر دفعه واحدة.

٨ - وُصفَت القطع بمتجاورات؛ لأنَّ اختلاف الألوان والمنابع التجاور أشد دلالة على القدرة العظيمة.. وظرفية التفضيل في ﴿الْأَكْلِ﴾ ظرفية في معنى الملاسة؛ لأنَّ التفاضل يظهر بالماكول، أي: نُفضل بعض الجنات على بعض، أو بعض الأعناب والزرع والنخيل على بعض، من جنسه بما يشره.

٩ - جيء في التفكير بالصيغة الدالة على التكلف وبصيغة المضارع؛ للإشارة إلى تفكير شديد ومكرر.

١٠ - خُصَ النخل بذكر صفة صنوان؛ لأنَّ العبرة بها أبلغ، ووجه زيادة ﴿وَعَيْرُ صِنَوَانٍ﴾ تجديد العبرة باختلاف الأحوال.

١١ - من دلائل قدرة الله تعالى حصول الاختلاف في الأرض بالرغم من تقاربها، وحصول الاختلاف بين أنواع النبات وأشكاله وأطعامه.

١٢ - تقرير البعث، وبيان عقاب منكريه بالعذاب الأبدي.

وَيَسْتَعِجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمُشْكَلَاتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ
لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٦﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ إِعْيَةٌ مِّنْ
رَّبِّهِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ فَوْمٍ هَادٍ ﴿٧﴾ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَعْنِصُ الْأَرْحَامُ
وَمَا تَزَدَّادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْهُ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ عَلِمُ الْغَيْبِ وَاللَّهُمَّ أَكْبِرُ الْمُتَعَالِ ﴿٩﴾
سَوَاءٌ مِّنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفِي بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ﴿١٠﴾
مُعَقِّبُتِ مَنْ بَيْنَ يَدَيْهِ وَمَنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا يَقُومُ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا
بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ يَقُومٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَ لَهُ وَمَا أَهْمُ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٰ ﴿١١﴾

التفسير:

٦ - ويتحدى زعماء الضلالة، فيطلبون من النبي ﷺ التurgil في إنزال العقوبة فيهم، قبل الخير الذي تبشرهم به، وقد مضت العقوبات في الأمم التي كذبت رسالها، وإن خالقك ومدبر أمورك - أيها النبي - لذو مغفرة لذنوب منْ تاب من عباده الذين ظلموا أنفسهم بالمعاصي لله. وإن ربك لشديد العقاب والعداib للمكذبين بالله ويوم الحساب.

قال الشنقيطي: «قوله تعالى: ﴿وَسَتَعْجِلُونَكُمْ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحُسْنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمُثْلَثُ﴾ الآية، المراد بالسيئة هنا: العقوبة، وإنزال العذاب قبل الحسنة: أي قبل العافية، وقيل الإيمان، وقد بيَّنَ تعالى في هذه الآية أنَّ الكفار يطلبون منه بِغَيْرِ إِيمَانٍ أن يُعَجِّلَ لهم العذاب الذي يُخَوِّفُهم به إن تمادوا على الكفر، وقد بيَّنَ هذا المعنى في آيات كثيرة، كقوله: ﴿وَسَتَعْجِلُونَكُمْ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلَفَ اللَّهُ وَعْدُهُ﴾ [الحج: ٤٧].

٧ - ويتمادون في تكذيبهم بطلب مزيدٍ من المعجزات، فيقولون: هَلْ أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ مِّنْ رَّبِّهِ مَعْجِزَةً كَمَعْجِزَةِ مُوسَى وَعِيسَى وَصَالِحٍ. وَلَيْسَ ذَلِكَ بِيُدْكٍ، وَإِنَّمَا الَّذِي أُرْسِلْتَ بِهِ هُوَ إِبْلَاغُهُمْ بِالدُّعَوَةِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَإِنْذَارُ الْكُفَّارِ مِنَ النَّارِ، وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ يَهْدِيهِمْ إِلَى اتِّبَاعِ الْحَقِّ، وَإِلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ وَعِبَادَتِهِ كَمَا أَنَّكَ دَعَ لِمَنْ أُرْسِلْتَ إِلَيْهِ. وَقَالَ شِيخُ الْإِسْلَامِ أَبْنُ تِيمَيَّةَ: «قَوْلُهُ:

﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادِ﴾ - في أصح الأقوال - أي: ولكل قوم داعٍ يدعوهم». (الجواب الصحيح: ٩٩/٢).

٩ - ٨ - يُخبر الله تعالى عن سعة علمه وإحاطته بالأخبار والأسرار: الله يعلم أحوال ما تحمله كل أنتي حامل في بطنها من ذكر أو أنثى، سعيد أم شقي، ويعلم ما تُنقصه الأرحام من سقوط الجنين ما قبل تسعة أشهر، وما تزداد الأرحام في الحمل ما بعد تسعة أشهر، وما تزداد من أعداد الأولاد كالتواءم فأكثر، وكل شيء من الأشياء عند الله بقدر معلوم وزمن محدود، وهو سبحانه عالم بكل ما خفي عن الخلق، وبما هو مشاهد، الكبير في ذاته وأسمائه وصفاته، المتعال على جميع خلقه بذاته وقدرته.

١٠ - ومن إحاطة علمه سبحانه بالأحوال أنه يستوي في علمه منْ أخفى القول منكم، ومنْ جهر به، وكذلك يستوي عنده من استتر بأعماله في ظلمات الليل، ومنْ جَهَرَ بها في وَضَح النهار.

١١ - ولكل إنسان ملائكة تتعاقب في حفظه ورعايته، يحفظونه بأمر الله تعالى، ويُحصون عليه أعماله من خير وشر. إنَّ الله تعالى لا يُغَيِّر نعمةً أنعمها على قوم، إلا إذا غَيَّرُوا ما أمرهم به فعصوه، وإذا أراد الله تعالى ابتلاء قوم بمصيبة فلا أحد يقدر أن يمنع ذلك، وليس لهم من دون الله من ناصر ومُعينٍ لجَلْبِ خَيْرٍ أو دفع شَرٍّ. عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه قال: «يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهر، ويجتمعون في صلاة العصر وصلاة الفجر، ثم يَرْجُونَ الذين باتوا فيكم، فيسألهم وهو أعلم بهم، فيقول: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يُصَلُّونَ، وأتيناهم وهم يُصَلُّونَ».

(صحيح البخاري ٤٢٦/١٣ برقم ٧٤٢٩ - كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿تَعَزُّزُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾)، وأخرجه مسلم في صحيحه ٤٣٩/١ - كتاب المساجد، باب فضل صلاتي الصبح والعصر برقم ٦٣٢).

الفوائد والاستنباطات:

١ - في الآية (٦) وقف نبوي عند قوله تعالى: **﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ﴾**، وينظر: تفسير سورة النساء الآية (١٧٣)، وسورة الأنعام الآية (٦٥).

- ٢ - من علامات غرور المشركين وعدم الاستفادة من عقولهم: أنّهم يستعجلون وقوع العذاب بهم.
- ٣ - علِمَ الله ﷺ ما في الأرحام منذ نشأة الجنين.
- ٤ - التحذير من الأقوال والأفعال السيئة، فإنَّ الله يعلم بها جميعاً، سواءً كانت سراً أم جهراً.
- ٥ - شمول علم الله تعالى لكلٌّ صغير وكبير، وكلٌّ شاهد وغائب في الكون.
- ٦ - الرعاية الربَّائية للإنس بحفظ الملائكة لهم.
- ٧ - تغيير الأحوال من سيئ إلى أحسن مرهون بتغيير النفوس، وتنقيتها من الشبهات والمحرمات.
- ٨ - تقرير الإيمان بالقدر.
- ٩ - عن ابن عمر رضي الله عنهما أنَّ رسول الله ﷺ قال: «مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ خَمْسٌ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ: لَا يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ إِلَّا اللَّهُ، وَلَا يَعْلَمُ مَا تَغْيِيبُ الْأَرْحَامُ إِلَّا اللَّهُ، وَلَا يَعْلَمُ مَنْ يَأْتِيَ الْمَطْرُ أَحَدٌ إِلَّا اللَّهُ، وَلَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ، وَلَا يَعْلَمُ مَنْ تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا اللَّهُ».

(صحيح البخاري ٢٢٥ - كتاب التفسير - سورة الرعد، برقم ٦٩٧/٤)

﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرَقَ حَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْشِئُ السَّحَابَ أَلْتَقَالَ ﴾١٢﴿ وَيُسَيِّحُ الرَّعْدَ
بِحَمْدِهِ وَالْمَلِكِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرِسِّلُ الصَّوَاعَقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَدِّلُونَ
فِي اللَّهِ وَهُوَ شَرِيدُ الْمَحَالِ ﴾١٣﴿ لَمَّا دَعَةَ الْحَقَّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَحِيُونَ لَهُمْ بَشَّوْءِ إِلَّا
كَبِسْطٌ كَهَيَّهٌ إِلَى الْمَاءِ لِيَلْبَعْ فَاهُ وَمَا هُوَ بِيَغْلِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكُفَّارِ إِلَّا فِي صَلَلِ ﴾١٤﴿ وَإِلَهٌ يَسْجُدُ مَنْ فِي
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظَلَّلُهُمْ بِالْعَدُوِّ وَالْأَصَالِ ﴾١٥﴿ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ اللَّهُ
قُلْ أَفَلَا تَخْذِلُمُ مِنْ دُونِهِ أَوْلَاهُ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هُلْ
يَسْتَوِي الظَّالِمُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شَرَكَاهُ حَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَنَشَبَهَ الْمُلْقَعُ عَلَيْهِمْ قُلْ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَ
وَهُوَ الْوَحْدُ الْقَهْرُ ﴾١٦﴿ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاهَ فَسَالَتْ أُودِيَّهُ بِقَدْرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًّا
وَمَمَّا يُوْقِدُونَ عَلَيْهِ فِي الْأَنَارِ أَبْغَاهُ حَلَيَّةً أَوْ مَتَعَ زَبَدًا مِثْلَهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَطَلُ فَمَمَّا زَرَدَ
فَيَذَهَبُ جُفَاءً وَمَمَّا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴾١٧﴾

التفسير:

١٢ - هو سبحانه وحده الذي يريكم الضوء اللامع من خلال السحب التي تتدخل فيما بينها، فتخافون من صوتها الهادر وصواعقها المُحرقة، وتطمعون أن ينزل معه المطر النافع، وهو وحده يُنشئ السحب الكثيفة، المُحملة بالماء الغزير.

١٣ - سبب النزول:

عن أنس رضي الله عنه قال: أرسل رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه رجلاً من أصحابه إلى رأس من رؤوس المشركين يدعوه إلى الله، فقال: هذا الإله الذي تدعوه إليه، أمن فضة هو أم من نحاس هو؟ فتعاظم مقالته في صدر رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه، فرجع إلى النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه فأخبره فقال: «ارجع إليه فادعه إلى الله»، فرجع فقال له مثل مقالته، فأتى رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه فأخبره، فقال: «ارجع فادعه إلى الله»، وأرسل الله عليه صاعقة، فرجع فقال له مثل مقالته، فأتى رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه فأخبره فقال: «ارجع إليه فادعه إلى الله»، ورسول الله في الطريق لا يعلم، فأتى النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه فأخبره أن الله قد أهلك صاحبه، ونزلت على النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه:

(وَيُرِسْلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ وَهُم يُجَدِّلُونَ فِي اللَّهِ). (أخرجه أحمد في المسند ٦/٨٧ - ٨٨ برقم ٣٣٤١، قال محققه: إسناده صحيح. وأخرجه ابن أبي عاصم (السنة ١/٣٠٤ برقم ٦٩٢) قال الألباني: إسناده صحيح).

التفسير:

ويُسَبِّحُ الرعد وهو صوت ارتظام السحاب حين يسوقه المَلَكُ الْمَوَّكِلُ به، فهو يُسَبِّحُ، والملائكة كُلُّهُم يُسَبِّحُونَ بالثناء والشكر لله ﷺ هيبة ورعبه من الله تعالى، ويُرسِلُ الله تعالى الصواعق المُحرقة، فُيهُلُكُ بها مَنْ يشاءُ من خلقه، والكُفَّارُ يُجَادِلُونَ في قدرة الله على البعث، وهو شديد القوة والبطش بمَنْ عصاه.

١٤ - الله ﷺ دعوة التوحيد، فلا يعبد سواه، والذين يعبدون الأصنام والأوثان من غير الله، ويَدْعُونَها لا تجيب دعاء مَنْ دعاها، فحالهم مثل حال عطشان يبسط يده إلى الماء؛ ليصل إلى فمه فلا يصل؛ لأنَّ الْكَفَّ المبسوطة لا تقدر على إيصال الماء إلى الفم، وما دعاء المكذبين بالله إلا في ضياع وخسران.

١٥ - والله وحده يخضع وينقاد أهل السموات وأهل الأرض، فيخضع المؤمنون طوعاً، ويخضع الكافرون كراهية وقت الشدة، وكذلك ظلالهم، والمخلوقات وظلالها تسجد لله بامتدادها على الأرض في أول النهار وآخره.

١٦ - يأمر الله تعالى رسول الله ﷺ أن يُنْكِرَ على المشركين، ويُؤْخِذُهم بعدة سؤالات، ثم يجيب عنها: قل: مَنْ خالق السموات السبع والأرضين السبع؟ قل: الله سبحانه. قل: أَجَعَلْتُمْ اللَّهَ شُرَكَاءَ عَبْدَتُمُوهُمْ مِنْ دُونِهِ، وَهُمْ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى نَفْعِ أَنفُسِهِمْ وَلَا عَلَى دَفْعِ الضُّرِّ عَنْهُمْ، فَكَيْفَ يَسْتَجِيبُونَ لِغَيْرِهِمْ؟ قل لهم أيضاً: هل يستوي عندكم الكافر والمؤمن؟ أم هل يستوي عندكم ظلمات الضلالة ونور الهدایة؟ أم اتَّخَذْتُمْ هُؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ آلهَةً خَلَقُوا مَخْلوقات كالتي خلقها الله، فالتبس الأمر عليهم، فلا يُمَيِّزُونَ بَيْنَ مَا خَلَقَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَمَا خَلَقَتْهُ أَهْلُهُمْ؟! قل لهم: الله سبحانه خالق كل كائن من العدم، وهو المتفَرِّدُ بالألوهية والربوبية، الذي قهر جميع الكائنات، وذَلَّ له جميع المخلوقات.

١٧ - أنزل الله تعالى من السحاب مطرًا، فجرَتْ به أودية الأرض بقدر صغرها وكبرها، فحمل السيل غُثاءً ورَغْوةً كثيفةً، وبعض المعادن التي

يوقدون عليها النار؛ ليصهروها كالذهب والفضة؛ طلباً للزينة والنفع بها، فيعلوها أيضاً زيد لا فائدة فيه. شبه ذلك المذكور بالحق والباطل: فمثُلُ الحق في ثباته كمثل الماء الصافي الذي يُسقى به الحرث، والمعدن النقي الذي ينفع الناس، ومثُلُ الباطل في زواله كالزبد الذي لا خير فيه يطفو على وجه الماء وفوق المعادن. بمثل ذلك يُبيّن الله الأمثال للناس؛ ليتضح الحقُّ من الباطل، والهدي من الضلال.

الفوائد والاستنباطات:

- ١ - من آيات الله تعالى التي تدلُّ على عظمة قدرته خَلْقُ الرعد والبرق والسحب الحافلة بالأرزاق والأمطار.
- ٢ - اكتشف العلماء عدة حقائق:
 - أ - أنَّ الرياح لها دور رئيس في عملية تكوُّن السحب.
 - ب - أنَّ السحاب يأخذ أشكالاً لا حصر لها في جو السماء.
 - ج - ضرورة تجميع كميات كبيرة من بخار الماء في حيز واحد.
 - د - أنَّ البرد لا يمكن أن يتكون إلا في طبقات الجو الباردة جداً.
 - ه - أنَّ السحب الرعدية يجب تقسيمها إلى خلايا؛ لكي تتمكن من تكثيف ما بها من بخار.
 - و - وجود سحب ثقيلة تحمل كميات كبيرة من الماء تفاصس بمتلاين الأطنان.

<http://www.quran-m.com/container2.php?fun=artview&id=1033>

ينظر: صورة السحب الثقال المتراكمة في الملحق.

- ٣ - تقرير تسبيح الملائكة لله تعالى من هيبيته ورهبته.
- ٤ - من حكمة الله تعالى أن يضرب الأمثال للناس؛ لتسهيل الدعوة لهم، وتقريب الحق إلى عقولهم.
- ٥ - لا نفع أبداً من الإشراك بالله تعالى.
- ٦ - كلُّ الكون وما فيه خاضع لله تعالى، وظلال المخلوقات تسجد لله بامتدادها على الأرض في أول النهار وأخره.

٧ - أثبتت النتائج أنَّ ظلال كل الأشياء تشير وتدل على اتجاه مكة المكرمة حيث القبلة في أربعة أوقات محددة من العام، وفي هذه الأوقات تكون الشمس متوازنة إما على مكة المكرمة، أو على الموقع المقابل لها في نصف الكرة الجنوبي المسمى بـ «نظير القبلة»، أي: إنَّ الشمس والظل الممدود في هذه الأوقات الأربع تكون هادبة ومرشدة لاتجاه القبلة بطريقة مباشرة وصريرة. (الإعجاز العلمي في إثبات حركة الظلال، بحث مقدم للمؤتمر الثامن للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، ص ٢٥).

٨ - إقامة الحُجَّة على الكُفَّار بالأدلة المحسوسة.

٩ - الباطل وإن ظهر على الحق في بعض الأحيان، فإنَّ الله تعالى سيدِّره، ويجعل العاقبة للمتقين.

١٠ - مثل المؤمن النافع كالماء النقي والمعدن الخالص، ومثل الكافر الذي لا ينتفع منه كالزبَد، سرعان ما يزول.

١١ - من الحقائق العلمية حول الزبد ما يلي:

أ - إنَّ الزَّبَد لا يتشكل إلا في حالة الحركة السريعة التي تحدث نتيجة إعصار أو نتيجة السيول العنيفة، وتشكل دائمًا على سطح الماء في الأعلى.

ب - إنَّ وزن هذه الرغوة أو الزبد خفيف جداً، ويتطاير في الهواء مثل البخار.

ج - إنَّ كمية صغيرة من الماء تكفي لتشكيل كمية كبيرة من الزبد، أي: إنَّ الزبد ليس له قيمة أو وزن أو فائدة! .

(<http://www.kaheel17.com/ar/index.php/2010-02-20-13-13/241-2010-09-09-22-11-27>

وينظر: صورة توضح ﴿فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًّا﴾، كما في الملحق.

لِلَّذِينَ أَسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَىٰ وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِبُوا لَهُوَ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا
وَمِثْلَهُ مَعَهُ، لَا فَتَدَوْا بِهِهُ أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَا وَهُمْ جَهَنَّمُ وَيَسُّ الْمَهَادُ^{١٨} أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا^{١٩}
أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ الْحُقْقُ كَمْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَذَكَّرُ أُولَئِكُو الْأَلْبَيْبِ^{٢٠} الَّذِينَ يُوْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ
الْمِيثَقَ^{٢١} وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمْرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوْصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءُ الْحِسَابِ^{٢٢}
وَالَّذِينَ صَبَرُوا أَبْتَغَاءَ وَجْهَ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الْأَصْلَوَةَ وَنَفَقُوا مَمَّا رَزَقَهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرُءُونَ بِالْحَسَنَةِ
الْسَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقَبَى الدَّارِ^{٢٣} جَنَّتُ عَدِنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَحَّ مِنْ أَبَابِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذَرِيَّتِهِمْ
وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ^{٢٤} سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَيَعْمَلُ عُقَبَى الدَّارِ

التفسير:

١٨ - جزاء المؤمنين المُطاعين الله ورسوله الجنة، والذين كذبوا وعصوا لهم النار. ولو ملكوا كل ما في الأرض، فأعطوه فداء لأنفسهم من عذاب الله يوم القيمة، لم يُقبل منهم. أولئك البعداء عن الحق لهم سوء العذاب على ذنوبهم في الآخرة، ومصيرهم نار جهنم، وقبع المصير الذي يستقررون فيه.

١٩ - ٢٠ - إنَّ المُهتدِينَ والضالِّينَ لَا يَسْتَوْنَ، أيُكونُ الذِّي يَعْلَمُ أَنَّ ما جاءك - أيها الرسول - مِنْ عِنْدِ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ الثَّابِتُ فَيُؤْمِنُ بِهِ، كَمَنْ هُوَ أَعْمَىُ الْقَلْبُ عَنِ الْحَقِّ الَّذِي لَا يَؤْمِنُ؟ إِنَّمَا يَتَعَظُّ أَصْحَابُ الْعُقُولِ السَّلِيمَةِ الَّذِينَ يُوْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ تَعَالَى الَّذِي أَمْرَهُمْ بِهِ، وَلَا يَنْكُثُونَ عَهْدَ الْأَكْيَدِ.

٢١ - ٢٣ - وَالَّذِينَ يَصِلُونَ الْأَرْحَامَ وَالْمُحْتَاجِينَ، وَيَخَافُونَ وَعِيدَ رَبِّهِمْ، وَيَخَافُونَ الْحِسَابَ الْعَسِيرَ الْمُؤْدِي لِدُخُولِ النَّارِ، وَالَّذِينَ صَبَرُوا عَلَى الطَّاعَةِ وَعَنِ الْمَعَاصِي؛ طَلَبًا لِرَضْوَانِ اللَّهِ، وَأَدَّوْا الصَّلَاةَ الْمُفْرُوضَةَ فِي أَوْقَاتِهَا، وَأَعْطَوْا الزَّكَاةَ الْمُفْرُوضَةَ وَالنَّفَقَاتَ سِرًّا وَجَهْرًا، وَيَفْعَلُونَ الْحَسَنَاتَ لِمَحْوِ السَّيِّئَاتِ. أَوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْمُنْزَلَةِ الْعَالِيَّةِ، لَهُمُ الْعَاقِبَةُ الْمَحْمُودَةُ، فِي جَنَّاتِ يَقِيمُونَ فِيهَا أَبْدًا، وَمَعَهُمُ الصَّالِحُونَ مِنَ الْآبَاءِ وَالزَّوْجَاتِ وَالْأُولَادِ، وَتَدْخُلُ الْمَلَائِكَةُ عَلَيْهِمْ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ الْثَّمَانِيَّةِ.

٢٤ - وتحييهم الملائكة: السلام عليكم من كل شرٌّ ومكروره؛ بسبب ما صبرتم، فنعم عاقبة الدار الجنة.

الفوائد والاستنباطات:

١ - في الآية (١٨) وقف نبوي عند قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَى﴾، وينظر: تفسير سورة النساء الآية (١٧٣)، وسورة الأنعام الآية (٦٥).

٢ - قال ابن عاشور: «أُعيد اسم الموصول هذا وما عُطِّفَ عليه من الأسماء الموصولة؛ للدلالة على أن صلاتها خصالٌ عظيمة تقتضي الاهتمام بذكر مَنِ اتصف بها، ولدَفعِ تَوْهُمَ أَنَّ عقبي الدار لا تتحقق لهم إلا إذا جمعوا كل هذه الصفات». (التحرير والتنوير: ١٢/١٧٣).

٣ - الفرق بين مصير المطيعين لله تعالى وغيرهم في الجزاء.

٤ - في الآية (٢٣) بشرى لِمَنْ كان له سلف صالح، أو خلف صالح، أو زوج صالح ممَّنْ تَحَقَّقَتْ فيهم هذه الصلاة أَنَّهُ إذا صار إلى الجنة لحق بصالح أصوله أو فروعه أو زوجه.

٥ - بيان فضائل صفات المؤمنين.

٦ - الاستفادة من العقل في التفكُّر الصحيح يقود إلى طاعة الله تعالى.

٧ - بشرى المؤمنين بأقاربهم الصالحين في دخول الجنة.

٨ - الملائكة تُسلِّمُ على المؤمنين في الجنة.

٩ - بيان فضل الصبر، ومنازل الصابرين.

﴿وَالَّذِينَ يُنْقَضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيقَاتِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ الْلَّاعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿٢٥﴾ اللَّهُ يَسْعِلُ الْرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرَحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتْنَعٌ ﴿٢٦﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ أَيْمَانُهُ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُصْلِلُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ﴿٢٧﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطَمِّنُ فَلَوْهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا يَذِكُّرُ اللَّهُ تَطَمِّنُ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَعَابٍ ﴿٢٩﴾ كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمُّمٌ لَتَتَّلَوَّ عَلَيْهِمُ الْذَّيْنَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَمَّا يُبَرِّئُ ﴿٣٠﴾﴾

التفسير:

٢٥ - والذين ينقضون عهد الله المؤكّد، ويقطعون الأرحام وغيرها، ويفسدون في الأرض بالكفر والظلم والمعاصي. أولئك البعداء عن الحق لهمطرد من رحمة الله، واللعنة التي تلاحقهم، ولهم سوء العذاب في الدار الآخرة.

٢٦ - يخبر الله تعالى عن تفاوت أرزاق العباد، فيوسّع سبحانه الأرزاق على مَنْ يشاء من عباده، ويُضيق على مَنْ يشاء منْ عباده، ويفرح الكفار بالسّعة في الحياة الدنيا الزائلة. وما هذه الحياة الدنيا بالنسبة للآخرة إلا شيء قليل في متعته وفي مدةه.

٢٧ - ويقول أهل الضلال من الكفار: هَلَّا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ معجزة مشاهدة، كمعجزة العصا وغيرها. فيرد سبحانه عليهم: إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يشاء من المتمردين على اتّباع الحق فلا تقنعهم معجزة، ويهدي سبحانه الذين تابوا إليه من ذنوبهم، الذين صدّقوا به وأقرّوا له بالوحدانية، وتطمّن قلوبُهم، وتستأنس بذكر الله في توحيده وطاعته. ألا فانتبهوا أيها الناس، فإنَّ القلوب بذِكْرِ اللَّهِ تَطِيبُ وَتَسْتَأْنِسُ.

٢٩ - يُشرِّر الله تعالى المؤمنين الذين يعملون الأعمال الصالحة بالفرح والحياة الطيبة التي تُقرُّ فيها العين، وحسن المستقر في الجنة.

٣٠ - ومثل ما أرسلنا الأنبياء قبلك أرسلناك - أيها الرسول - في أمة قد مضت قبلها أمم كثيرة، لتقرأ عليهم القرآن العظيم الذي أنزلناه عليك، وهم يُكذبون بالرحمن. قل لهم: إنَّ الرَّحْمَنَ الَّذِي كَفَرْتُمْ بِهِ هُوَ خَالقُّونِي، وَيَتَوَلَّ أَمْرِي، لَا مَعْبُودٌ بِحَقِّ سُوَّاْهُ، عَلَيْهِ اعْتَدْتُ، وَبِهِ وَثَقْتُ، وَإِلَيْهِ تُوبَتِي وَمَرْجِعِي.

الفوائد والاستنباطات:

- ١** - تحريم نقض العهد، واستحقاق اللعنة بالطرد من رحمة الله تعالى لمن نقض عهده.
- ٢** - سعة الرزق على العبد لا تعني رضا الله عنه، وكذا ضيق الرزق لا يعني غضب الله عليه.
- ٣** - قال شيخ الإسلام ابن تيمية عند الآية (٢٨): «تقديم المفعول يدل على أنها لا تطمئن إلا بذكره وهو تعالى إذا ذكر وجل، فحصل اضطراب ووجل لما تخافه من دونه، وتخشاه من فوات نصيتها منه». (مجموع الفتاوى: ٢٢/١).
- ٤** - بيان فضل تعظيم الله تعالى، وتلاوة القرآن.
- ٥** - مهمَّةُ الرَّسُلِ بِلَاغُ الْحَقِّ، وِإِقَامَةُ الْحُجَّةِ.
- ٦** - تَضَمَّنَ لَامُ التَّعْلِيلِ فِي قَوْلِهِ: ﴿لَتَنْتَلُوا عَلَيْهِمْ﴾ أَنَّ الإِرْسَالَ لِأَجْلِ الإِرْشادِ وَالْهُدَايَا بِمَا أَمْرَ اللَّهُ، لَا لِأَجْلِ الانتِصَابِ لِخَوَارِقِ الْعَادَاتِ».
- ٧** - تقرير رسالة النبي محمد ﷺ.
- ٨** - الإتيان بالاسم الظاهر في مقام الإضمamar ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالْرَّحْمَنِ﴾؛ لما في ذلك من الروعة والإجلال، ولتشنيع كفرهم به، ومزيد إنكار عليهم.

﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سِيرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمْ بِهِ الْمَوْتَىٰ بَلِ اللَّهِ الْأَمْرُ
حِمِيعًا أَفَلَمْ يَأْتِيَنَّا إِنَّمَا أَنَّ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهُدَىٰ النَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَرَأُلُ الَّذِينَ كَفَرُوا
تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا فَارِعَةً أَوْ تَحْلُّ قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ
﴾ ٣١
﴿وَلَقَدْ أَسْهَزَهُمْ بِرُسْلِنَا مِنْ قَبْلِكَ فَأَمْلَأْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابُ
﴾ ٣٢
﴿أَفَنَّ هُوَ قَابِيلٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسْبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُونُهُمْ أَمْ تَنْتَسِعُونَهُ بِمَا لَا
يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ بِظَاهِرِهِ مِنَ الْقَوْلِ بَلْ زُينَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصَدُّوْا عَنِ السَّيِّلِ وَمَنْ
يُضَلِّلَ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ ٣٣
﴿لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابٌ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ اللَّهِ
مِنْ وَاقِفٍ﴾ ٣٤
﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْنَاهَا الْأَهْمَرُ أَكُلُّهَا دَائِمٌ وَظُلُلُهَا
تِلْكَ عَقْبَى الَّذِينَ أَنْقَلُوا وَعَقْبَى الْكُفَّارِ النَّارِ﴾ ٣٥

التفسير:

٣١ - ولو كان كتاب من الكتب المنزلة سُيرت بتلاوته الجبال فزالت، وشققت به الأرض أنهاراً فاختضرت، وخطب به الموتى فأحيتها وأجابت، لكن هذا القرآن هو الذي اجتمعت فيه هذه الآيات المحسوسة لما آمنوا به، ولكن الله لم يعجبهم إلى ما اقتربوا من الآيات؛ لأنَّه هو المالك لجميع الأمور المتصرف فيها كيف يشاء. أفلم يقنط المؤمنون من تصديق الكفار الذين طلبوا الآيات المحسوسة، ويزعموا أنَّ الله تعالى لو شاء هدايتهم لهداهم جميعاً؟ ولا يزال الكفار تُفجعهم المصائب؛ بسبب ما فعلوه من الجرائم، أو تُصيب الديار المجاورة لهم، فترعبهم حتى يأذن الله بإظهار الإسلام والنصر على الأعداء. إنَّ الله لا يُخلِفُ وعده أولياء بنصرهم في الدنيا، وإكرامهم في الآخرة.

٣٢ - وقسمًا لقد استهزأ الكفار برسلمهم من قبلك أيها الرسول، فأمهمْتُهم وتركتُهم في أمن، ثم أخذتهم بالعقاب بعنة، فكيف كان عقابي لهم على كفرهم؟

٣٣ - ٣٤ - ألمْ هو رقيب حفيظ على عمل كل إنسان، كهذه الأصنام التي لا تسمع ولا تنفع؟ وجعلوا الله شركاء من خلقه يعبدونهم. قل لهم أيها

النبي : اذكروا أسماءهم وصفاتهم، فهل لهم ما يستحقون به العبادة؟ ثم أعاد الإنكار عليهم مُوبِخاً لهم : أم تخبرون الله بشركاء لا يعلمهم؟ أم تُسمُّونهم شركاء بظاهر الباطل لا حقيقة له؟ بل حَسْنُ الشيطان للكفار قولهم الضال ، وامتناعهم عن الهدایة ، ومَنْعُ الناس منها ، ومنْ يضلله الله تعالى فما له أحد يقدر على هدايته ، لهم عذاب في الحياة الدنيا بالقتل والأسر والذلة . ولعذاب الآخرة أشد وأثقل في المشقة ، وليس لهم من ينقذهم من عذاب الله تعالى .

٣٥ - من صفة الجنة التي وعد الله تعالى بها المؤمنين أنها تجري من تحت أشجارها وقصورها الأنهر العذبة ، ثمرها لا ينقطع ، وظلها ممدود . تلك المثوبة ذات المنزلة العالية عاقبة المؤمنين ، وعاقبة المُكذبين بالله نار جهنم .

الفوائد والاستنباطات:

- ١ - تقرير الرسالة بإعجاز القرآن الكريم .
- ٢ - تهديد الكفار بالکوارث والمحن ؛ بسبب عدم إيمانهم .
- ٣ - جملة ﴿بَلِ اللَّهُ أَلْأَمْرُ جَمِيعًا﴾ عطف على ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا﴾ بحرف الإضراب ، أي ليس ذلك من شأن الكتب ، بل الله أمر كل محدث ، فهو الذي أنزل الكتاب ، وهو الذي يخلق العجائب إن شاء .
- ٤ - إمهال الله تعالى للمستهزئين ، لا يعني إهمالهم .
- ٥ - بطلان عبادة كل شيء سوى الله تعالى .
- ٦ - التحذير من نزغات الشيطان .
- ٧ - دوام نعيم الجنة على المؤمنين .
- ٨ - قال ابن عاشور عند الآية (٣٣) : «تَضَمَّنَ هَذَا الْحَجَاجُ أَسَالِيَّ وَخَصْوَصِيَّاتٍ ، مِنْهَا مَا يَلِي :

أحداها : توبیخهم على قیاسهم أصنامهم على الله في إثبات الإلهية لها قیاساً فاسداً ؛ لأنفقاء الجهة الجامع ، فكيف يُسوّى مَنْ هو قائم على كل نفس بمن ليسوا في شيء من ذلك .

ثانيها : تجهیلهم في جعلهم أسماء لا مسميات لها آلهة .

ثالثها: إبطال كون أصنامهم آلهة بـأَنَّ اللَّهُ لَا يعْلَمُهَا آلهَةٌ، وهو كناية عن انتفاء إلهيتها». (التحرير والتنوير: ١٩٤/١٢).

- ٩ - في الآية (٣٤) ﴿تِن﴾ الدالة على اسم الجلالة؛ لتعديـة ﴿وَاقِ﴾، و﴿مِن﴾ الدالة على ﴿وَاقِ﴾؛ لتأكيد النفي للتنصيص على العموم.
- ١٠ - في الآية (٣٥) وقف نبوي عند قوله تعالى: ﴿تِلْكَ عَقْبَى الَّذِينَ أَنْقَوا﴾، وينظر: تفسير سورة النساء الآية (١٧٣)، وسورة الأنعام الآية (٦٥).

﴿وَالَّذِينَ أَتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَنْ أَلْحَزَابٍ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أَمْرَتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مَأْبِ﴾ (٣٦) **وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا حُكْمًا عَرَبِيًّا**
 وَلَيْنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقِ﴾ (٣٧) **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَدُرْرِيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِثَایَةً إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ**
لِكُلِّ أَجْلٍ كِتَابٌ (٣٨) **يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ** (٣٩) **وَإِنْ مَا نُرِينَكَ بَعْضَ الَّذِي نَعْدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيْنَكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ** (٤٠) **أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا**
نَا فِي الْأَرْضِ نَقْصًا مِنْ أَطْرافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مَعْقِبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٤١) **وَقَدْ**
مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَلَوْهُ الْمَكْرُ جَيْعَانًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عَقِبَ
الْدَّارِ (٤٢) **وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بِيَنِي وَبِئْنِكُمْ**
وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ (٤٣)

التفسير:

٣٦ - والمؤمنون من أهل الكتاب يفرحون بالقرآن العظيم؛ لأنَّهم عرفوا اتباع الحق، والكافر الذين تألهوا على عداوة المؤمنين يُنكرون بعض أحكام القرآن وأخباره. قل لهم أيها الرسول: إنَّما أمرني ربِّي أنْ أعبده وحده، ولا أشرك به شيئاً في عبادته، إلى عبادته أدعو الإنس والجن، وإليه وحده مصيري ومرجعي.

٣٧ - ومثل ما أنزلنا الكتب على الرسل بلسانهم، أنزلنا إليك - أيها

الرسول - القرآن الحكيم حافلاً بالحكم التي تحكم بالحق، فصيحاً مقصلاً بلغة العرب. وقسمًا إن اتبعت المشركين فيما يدعونك إليه من الأهواء بعد ما أعطاك الله من الحجج القاطعة والبراهين الساطعة، ليس لك ناصر ينقدك من عذاب الله تعالى. وفي هذا تحذير الأمة من ذلك؛ لأنَّ النبِيَّ ﷺ معصومٌ منه.

٣٨ - قسمًا لقد أرسلنا رسلاً ترى من البشر من قبلك أيها الرسول، وجعلنا لهم أزواجاً وأولاداً، وما كان لرسول أن يأتي قومه بمعجزة إلا إذا أذنَ الله له فيها، لكلٍّ أمرٍ من الأمور وقت قدره الله، وأثبته في كتاب عنده.

٣٩ - يمحو الله تعالى ما يشاء من الأحكام بنسخها، ويُبقي ما يشاء منها؛ لحكمة أو مصلحة، وعنده أصل الكتب، وهو اللوح المحفوظ.

٤٠ - وسواء أریناك - أيها الرسول - بعض العذاب الذي توعَّدناهم به كالقتل والأسر والقهْر في الدنيا، أو نتوفَّينك قبل تعذيبهم، فما عليك إلا تبليغ الدعوة في الدنيا، وعلىنا العقاب والثواب في الدنيا والآخرة.

٤١ - يُذكرُ الله تعالى على الكُفَّار مُوبِخاً لهم؛ لعدم اتعاظهم بالحوادث: أولم يعلم هؤلاء الكُفَّار أننا ننتقص من جوانب الأرض التي يعيشون عليها، بدمارها غرقاً، أو حرقاً، أو نهباً، أو فتحاً للمؤمنين؛ لنشر الدعوة إلى الله تعالى، والقضاء على الفساد والفتنة؟ والله تعالى يقضي ما يريد؛ لأنَّ لا راد لقضائه، وهو سريع الحساب في الثواب والعقاب.

٤٢ - وقد تامر الكُفَّار الذين سعوا بالمكاييد والشدائيد على أنبيائهم، كما مكر كُفَّار قريش بك أيها الرسول، فللله المكر جميعاً، فلا يقدر أحد أن يمكر مكرًا ويُدبر مكيدة، إلا بقضائه وقدره. يعلم سبحانه ما تكسب كلُّ نفس من خير أو شرّ، وسيعلم كلُّ كافِرٍ لِمَن العاقبة المحمودة في الدار الآخرة، لهم أم للمؤمنين؟

٤٣ - ويقول الذين كَذَّبوا الله ورسوله: يا محمد أنت لست رسولًا من الله إلى الناس. قل لهم: يكفيوني شاهداً على صدقِي أنَّ الله تعالى يشهد على صدقِي، وعلى كَذِبِكم، بما أنزل من المعجزات الباهرة والحجج الظاهرة، ويلحق بهذه الشهادة العظيمة مَنْ عنده علمٌ مِنْ مؤمني اليهود والنصارى.

وقال الشيخ الشنقيطي: «قوله تعالى: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَبِ﴾ الظاهر أنّ قوله: ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَبِ﴾ عطف على لفظ الجلالة، وأنّ المراد به أهل العلم بالتوراة والإنجيل. ويُدلّ له قوله تعالى: ﴿شَهَدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ١٨] الآية، وقوله: ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنْزَلَنَا إِلَيْكَ فَسُئِلُ الظَّاهِرُونَ يَقْرَئُونَ الْكِتَبَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ [يونس: ٩٤] الآية، وقوله: ﴿فَسَأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٧] إلى غير ذلك من الآيات».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «﴿وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَبِ﴾ وهم أهل الكتاب، فهم يشهدون بما جاءت به الأنبياء قبل محمد، فيشهدون أنّهم أتوا بمثل ما أتى به، كالامر بعبادة الله وحده، والنهي عن الشرك، والإخبار بيوم القيمة، والشرائع الكلية، ويشهدون أيضاً بما في كتبهم من ذكر صفاته ورسالته وكتابه». (مجموع الفتاوى: ١٤/١٩٢).

الفوائد والاستنباطات:

١ - الثناء على مؤمني أهل الكتاب.

٢ - قوله تعالى: ﴿حَكَماً عَرَبِيًّا﴾ حالان من ضمير ﴿أَنْزَلَنَاهُ﴾، والحكم هنا بمعنى الحكمة كما في قوله: ﴿وَإِنَّنَّهُمْ بِالْحُكْمِ صَيَّابُ﴾ [مريم: ١٢]، وجعل نفس الحكم حالاً منه مبالغة، والمراد أنه ذو حكم، أي: حكمة.. إذ الحكمة لا توصف بالنسبة إلى الأمم، وإنما المعنى أنه حكمة معبر عنها بالعربية. ثم في كونه عربياً امتنان على العرب المخاطبين به ابتداءً بأنه بلغتهم، وبأنّ في ذلك حُسْنَ سمعتهم».

٣ - التحذير من اتباع أهواء أهل الباطل.

٤ - ثبوت النسخ، وتعلقه بحكم عظيمة.

٥ - إنّ انكماس الأرض على ذاتها سنة كونية لازمة للمحافظة على العلاقة النسبية بين كتلتي الأرض والشمس، وللحافظة على المسافة الفاصلة بين الأرض والشمس لا بدّ وأن تفقد الأرض من كتلتها وزناً متناسباً تماماً مع ما تفقده الشمس من كتلتها. وتبادل الأدوار بين اليابسة والماء هو سُنة أرضية تعرف باسم دورة التبادل بين المحيطات والقارات، وتحوّل أجزاء من اليابسة

إلى بحار، والتي من نماذجها المعاصرة كل من البحر الأحمر، و الخليج كاليفورنيا. وإننا من الأرض من أطراها بمعنى: التصحر، أي: زحف الصحراء على المناطق الخضراء وانحسار التربة الصالحة للزراعة في ظل إفساد الإنسان للبيئة على سطح الأرض. (آيات الإعجاز العلمي: الأرض في القرآن الكريم للكثير زغلول النجار، ص ١٤٩ - ١٦٥).

٦ - مَكْرُ الله تعالى عظيم بالماكرين.

٧ - البلاغ والإذار مهمّة الرسول ﷺ، فلا ضير إن لم يؤمنوا.

٨ - شهادة الله تعالى لصدق النبي ﷺ أعظم دليل على صدق رسالته.

